بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فلا يخفى على مسلم تالٍ لكتاب الله، وناظر في قصص أنبياء الله تعالى أن الغاية من خَلْق الخَلْق: تحقيق عبادة الله والقيام بطاعته ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وقال تعالى مبيِّناً وظيفة رسله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

يقول عمرو بن عبسة ﷺ: كنتُ وأنا في الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعتُ برجل بمكة يخبر أخباراً، فقعدتُ على راحلتي فقدمتُ عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفياً جُرَءَاءُ عليه قومُهُ، فتلطَّفتُ حتى دخلتُ عليه بمكة، فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبي»، فقلت: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله»، فقلت: وبأيِّ شيء أرسلك؟ قال: «أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يُوَحَّدَ الله لا يشرك به شيء»[1].

من هذه النصوص وأمثالها يستفيد المسلم أن من أُسس دعوة الرسل وأصولها: تعريف الناس بالله، ودلالتهم عليه، وبيان حقوقه عَزَّوَجَلَّ على عباده، وشرح ما يستحقه وما يتَّصف به من الأسماء الحسنى والصفات العلى والأفعال الحكيمة، والنهي عن كل ما يضاد ذلك وينافيه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

(١) رواه مسلم (٨٣٢).

إن الإسلام الذي جاء به نبيُّنا ﷺ له مزايا، ومن محاسنه ومزاياه: تخليص نفوس المقبلين عليه من الأوهام الباطلة، وتصفية قلوبهم من المعتقدات الفاسدة، ومن بين هذه العقائد التي أبطلها الإسلام والعادات الجاهلية التي منعها ونهى عنها: التشاؤم ببعض الشهور أو الأيام أو الحيوانات وغير ذلك.

ومن بين هذه الشهور التي كان التشاؤم بها منتشراً في الأوساط الجاهلية: التشاؤم بشهر صفر، وهو الشهر الثاني من الأشهر العربية الهجرية، وهذه العادة الجاهلية جاء النبي ﷺ بإبطالها والنهي عنها والتحذير منها.

فعن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «لا عدوى، ولا طِيَرة، ولا هامة، ولا صفر»[2].

ففي هذا الحديث ينكر ﷺ عدة أعمال تخالف الاعتقاد الصحيح الذي رضِيَه الله لعباده، حيث ينفي ﷺ أربعة أمور من بينها «التطيُّر بشهر صفر» فقال: «ولا صفر»، وهذا نفي لِمَا عليه أهل الجاهلية من التشاؤم بشهر صفر والتطيُّر بمجيئه، وأنه لا حقيقة له من حيث التأثير بحصول خير أو جلب شر.

ويُلاحَظ أن الصيغة التي ورد بها الحديث هي النفي المتضمن للنهي والزجر عن هذا المعتقد الفاسد، وإنما جاء بصيغة النفي؛ لأنه أبلغ في إبطاله، يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهي إنما يدل على المنع منه»[3].

ومما يأسف له المسلم الغيور على عقيدته الإسلامية: أن هذا الاعتقاد -وهو التشاؤم بشهر صفر- لا يزال

(٢) رواه البخاري (٥٧٠٧) واللفظ له، ومسلم (٢٢٢٠).

(٣) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٣/ ١٤٨٤).

محل اعتبار عند كثير من الناس.

ومن مظاهر ذلك:

١- الامتناع عن السفر في هذا الشهر.

٢- عدم الزواج فيه؛ لظن عدم التوفيق، أو تيسر الأمور فيه، حتى إن أحدهم لَمَّا وصلت إليه بطاقة دعوة للزواج في هذا الشهر قال مستغرباً ومندهشاً: «زواج في صفر؟!!».

٣- التشاؤم بيوم الأربعاء منه، وخصوصاً آخر أربعاء من الشهر.

٤- التوقف أو تعطيل الأعمال أو بعضها وربما أخذ بعضهم إجازة من العمل عند دخول هذا الشهر؛ لاعتقادهم عدم تحقق التوفيق في أداء العمل، إلى غير ذلك من الأوهام والمحدَثات التي لا أصل لها، والمشتملة على أن هذا الشهر شهر نزول المصائب ووقوع المكاره.

وترتب على هذا الاعتقاد الفاسد بهذا الشهر آثار سيئة منها:

١- ارتكاب ما نهى الله عنه ورسوله ﷺ وحَكَمَ ببطلانه ونفى ما يُعتقد فيه من التشاؤم، وهذا -والعياذ بالله- من الشرك ومن أعمال المشركين، قال ﷺ: «الطِّيَرة شرك، الطِّيَرة شرك»[4]، وقال: «مَن ردَّته الطيرة من حاجة فقد أشرك»[5]، وقال: «مَن ردَّته الطيرة فقد قارف الشرك»[6].

(٤) رواه أبو داود (٣٩١٠)، والترمذي (١٦١٤)، وابن ماجه (٣٥٣٨)، وصححه العراقي كما في «فيض القدير» (٤/ ٢٩٤)، والألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤٢٩).

(٥) رواه أحمد (٧٠٤٥)، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٠٦٥).

(٦) رواه ابن وهب في «الجامع» (٦٥٦)، وصحَّح إسناده الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (١٠٦٥).

والطِّيَرة هي: التشاؤم بما يراه المرء أو يسمعه أو يعلمه، فيعتمد على ما يراه أو يسمعه حتى يمنعه ذلك من الإقبال على قضاء حاجته والمضي في أمره، فهذا مع وقوعه في الشرك فقد يصيبه ما يكرهه[7].

ولا شك أن هذا باب من أبواب الإثم، قال ابن عبد البر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «مَن تطيَّر فقد أثِم، وإثمه على نفسه في تطيُّره لترك التوكل وصريح الإيمان»[8].

٢- الكذب على رسول الله ﷺ ونسبة أحاديث إليه لم يقُلها ﷺ أو ينطق بها، ومن ذلك الحديث الموضوع المكذوب: «مَن بشَّرني بخروج شهر صفر، بشَّرته بدخول الجنة»[9].

٣- وصف شهر صفر بوصف لم يرد به دليل من كتاب أو سنة، وهو قول بعضهم: «صفر الخير»، يريدون بذلك: رد التشاؤم الذي يقع في نفوسهم من هذا الشهر، وهذه العبارة لا زالت تكتب على بعض التقاويم الهجرية وللأسف.

٤- إحداث بدع لا أصل لها، واختراع أدعية لا أساس لها، كالنافلة المزعومة بـ«نافلة يوم الأربعاء» في آخر شهر صفر، تكون في وقت الضحى، وقد صدرت فتاوى من بعض الجهات ببيان حكمها، وأنها نافلة لا أصل لها من الكتاب والسنة، ولم تثبت عن أحد من السلف أو صالحي الخلف، بل هي بدعة منكرة[10]، ولا يخفى أن من ضوابط اعتبار العبادة موافقتها للشرع في الجنس والسبب والزمان والمكان والعدد والصفة، وكل هذا غير متوفر في هذه النافلة.

(٧) انظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص ١٤٤).

(٨) التمهيد لابن عبد البر (٩/ ٢٨٥).

(٩) أورده الصاغاني في كتاب «الموضوعات» (١٠٠)، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» (١٢٦٠) ونقل عن الحافظ العراقي الحكم عليه بالوضع.

(١٠) انظر: «فتاوى اللجنة الدائمة» (القسم الأول) (٢/ ٤٩٧).

٥- استيلاء الوساوس على المتشائمين بهذا الشهر، فالواحد منهم يُرى متعب القلب، مكسوف البال، سيء الخُلُق، شديد الخوف، حزين الفؤاد، شديد الاحتراز، مشتت الذهن، كُلُّ ذلك خوفاً من أن يصيبه سوء أو يلحقه مكروه بدخول هذا الشهر.

وحال هؤلاء كما قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكم قد حَرَم نفسه بذلك من حظ، ومنعها من رزق، وقطع عليها من فائدة!»[11].

وكل هذا من القول على الله بلا علم، واعتقاد ما لا دليل عليه في هذا الشهر وغيره، فإن إسناد الفضائل أو إضافة الشرور والمكاره إلى الشهور يتوقف على ورود نص شرعي بذلك، والأزمنة والأوقات كلها من خَلْق الله، وفيها تقع أعمال بني آدم -خيرها وشرها- فلذا يحرم تخصيص بعض الشهور أو الأيام أو الليالي بشؤم ونحوه، ومن هنا جاءت الشريعة بإبطال التشاؤم بشهر صفر وغيره وتحريمه، ومن تأمل الواقع رأى أنه يخالف هذا الاعتقاد الباطل.

فكم من خير وصل لأناس في هذا الشهر؟!

وكم من فضائل تحققت لأقوام؟!

وكم من شر صُرِف عن آخرين؟!

وكل هذا يدل على عدم ثبوت هذه المفاهيم السيئة لهذا الشهر.

وموقف المسلم من هذه الظاهرة ما يأتي:

١- التوعية ونشر الثقافة السليمة المتعلقة بهذا الشهر، والتحذير مما يخالف الشرع، وبيان الآثار السيئة المترتبة على هذه المعتقدات بالمحاضرات أو الدروس أو الخطب

(١١) «مفتاح دار السعادة» لابن القيم (٣/ ١٤٧٥).

أو بما هيَّأه الله من التقنيات ووسائل التواصل الحديثة المتنوعة.

٢- يقال لكل متشائم بهذا الشهر أو غيره: أعرِض عن هذا الذي يقع في نفسك، ولا تلتفت إليه ولا تُلقِ له بالاً، فهذه نصيحة رسول الله ﷺ، يقول معاوية بن الحكم: قلت: يا رسول الله، إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، ومنَّا رجال يتطيَّرون؟ قال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصدنهم»[١٢].

٣- ويقال له أيضاً: اعتمِد على الله، وثِق به، وحقِّق التوكل عليه، وكِلْ أمورك إليه، وأبشر بما يسرك من طيب النفس وانشراح الصدر، فإن الله تعالى قال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣]؛ فبالتوكل على الله وحده يزول -بإذن الله- كل ما يقع في النفس من هذه الخواطر والوساوس، «فإن التوكل أعظم الأسباب التي تستجلب بها المنافع ويستدفع بها المضار»[١٣].

فعن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «الطِّيَرة شرك، الطِّيَرة شرك»، قال ابن مسعود: «وما منَّا إلَّا؛ ولكنَّ الله يُذهبُه بالتوكل»[١٤].

٤- أن يعلم المتشائم أنه يعرِّض نفسه لوعيد شديد، ويحرم نفسه من خير كبير، ويرتكب أمراً لربما أضاع عليه دينه ودنياه، يقول ﷺ: «ليس منَّا مَن تَطيَّر أو تُطيِّر له، أو تَكهَّن أو تُكهِّن له، أو سَحَر أو سُحِر له...»[١٥].

(١٢) رواه مسلم (٥٣٧).
(١٣) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص١٤٠-١٤١).
(١٤) سبق تخريجه.
(١٥) رواه البزَّار في «المسند» (٣٥٧٨)، قال المنذري في «الترغيب والترهيب» (١٧/٤): "بإسناد جيد"، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٠٤١).

وقال ﷺ: «لن يَلِج الدرجات العُلى مَن تَكهَّن أو تُكهِّن له، أو رجع من سفر تطيُّراً»[١٦].

٥- الإتيان بالذِّكر المشروع أو الدعاء الوارد عند حصول شيء من التشاؤم في النفس وهي ما يُسمَّى بـ«كفارة الطِّيَرة»، يقول عبد الله بن عمرو ﷺ قال رسول الله ﷺ: «مَن ردَّته الطِّيَرة من حاجة فقد أشرك، قالوا: يا رسول الله، ما كفارة ذلك؟ قال: أن يقول أحدهم: اللهم لا خيرَ إلَّا خيرك، ولا طيرَ إلَّا طيرك، ولا إله غيرك»[١٧].

ففي هذا الدعاء يرشد ﷺ أمته إلى أن كفارة هذا الذنب، وسبيل الخلاص منه هو سؤال الله الخير؛ وذلك أن الخير بيده، والنفع من عنده، واعتقاد أن هذه الطيور مِلك لله تعالى، ومسخرة بتسخيره لا قدرة لها على جلب المنافع أو دفع المضار، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٧٩]، وأنه تعالى هو المتفرد بالإلهية، وكذا يدل هذا الدعاء على أنه هو المستحق للعبادة وحده.

٦- العلم بأن كل شيء يجري في هذا الكون فبقضاء الله وقدره، والإقرار الصادق أن النفع والضر بيد الله وحده لا شريك له، فلا علاقة لِمَا يحصل للإنسان بشهر أو يوم أو عام أو ليل أو نهار، ومتى رسخ هذا المعتقد في القلب قويت النفس على دفع ما يَرِد عليها من هذه الوساوس والأوهام المخوفة، وتعلَّق القلب بالله تعالى ووثق به، واشتغل بما يدفع عنه الضر والبلاء من الأعمال المشروعة، والطاعات الزاكية، ولم يلتفت إلى ما سوى الله تعالى.

(١٦) رواه تمام في «الفوائد» (١٤٤٤)، وجوَّد إسناده الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٤١٦١).
(١٧) سبق تخريجه.

وبهذا يدفع المرء ما يقع في نفسه من التشاؤم، وما يقابله في أموره مما يلقيه الشيطان ويخوِّفه به.

● **وأختم بأمرين**: أحدهما: **تنبيه**، والآخر: **توجيه**:

أما **التنبيه** فقد نصَّ العلامة صديق حسن خان -أحد علماء الهند- على عدم ثبوت حديث في فضل شهر صفر، حيث قال: «لم أقف على حديث في فضل شهر صفر ولا ذمِّه»[١٨].

وأما **التوجيه** فهو باغتنام الأوقات والأزمنة في الأعمال الصالحات، فهذه هي الوظيفة الأصلية للمسلم في كل سنة أو شهر أو يوم أو ليلة، فوقت المسلم هو عمره، فمتى ما اغتنم وقته فقد اغتنم عمره والعكس بالعكس.

قال ابن رجب الحنبلي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل زمان شغله المؤمن بطاعة الله فهو زمان مبارك عليه، وكل زمان شغله العبد بمعصية الله تعالى فهو مشؤوم عليه، فالشؤم في الحقيقة هو معصية الله تعالى»[١٩].

وخطب أبو بكر الصديق ﷺ الناس يوماً فقال: «اعلموا -عباد الله- أنكم تغدون وتروحون في أجَلٍ قد غُيِّب عنكم عِلْمه، فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وأنتم في عمل لله فافعلوا، ولن تستطيعوا ذلك إلَّا بالله»[٢٠].

لذلك كان الصدِّيق ﷺ وغيره من أصحاب النبي ﷺ من أسرع الناس إلى الخير وأشدهم قوة في الإقبال عليه والرغبة فيه، وهكذا كان نبيُّنا ﷺ قبل ذلك، فقد كان عمله دِيمَة[٢١]،

(١٨) «الموعظة الحسنة» للقنوجي (ص١٤١).
(١٩) «لطائف المعارف» لابن رجب (ص١٥١).
(٢٠) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧١٥٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٣٩) بسياق أطول مما عند ابن أبي شيبة، قال ابن كثير في تفسيره (٥٠٠/١٣): «هذا إسناد جيد ورجاله كلهم ثقات».
(٢١) أي: الدائم المستمر الذي لا ينقطع.

ويكفي المرء مسارعة إلى الأعمال الصالحات أن عمله هو الصاحب الباقي والرفيق الدائم له في حياته وبعد موته، بل إنه يدخل معه القبر، يقول ﷺ: «يَتْبع الميتَ ثلاثة، فيرجع اثنان ويبقى معه واحد: يَتْبعُه أهلُهُ ومالُهُ وعملُهُ، فيرجع أهلُهُ ومالُهُ، ويبقى عملُهُ»[٢٢]، ومعنى بقاء عمله معه: أنه يدخل معه القبر.

وكل امرىء يتمنى أن يعرف قدره عند الله، ومنزلته عنده، ومقدار ثوابه، وفي هذا يقول رسول الله ﷺ: «مَن أراد أن يَعْلَم ما له عند الله، فليَنْظر ما لله عنده»[٢٣].

فقوله: «مَن أراد أن يَعْلَم ما له عند الله» أي: من الكرامة والأجر والخير «فليَنْظر ما لله عنده» أي: من الإجلال والتعظيم وامتثال الأوامر وترك المحرمات.

وربُّنا عَزَّوَجَلَّ يُنزل العبدَ منه حيث يُنزله العبدُ من نفسه[٢٤].

وكل امرئ حسيب نفسه ووصيها، وهو أدرى بما لها وعليها، وأعلم بقصورها وضعفها، وضرورة إقبالها على ربها، والموفَّق من وفَّقه الله وأعانه وهداه وثبَّته وبصَّره بدينه.

هذا وصلَّى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه وسلَّم.

(٢٢) رواه البخاري (٦٥١٤)، ومسلم (٢٩٦٠).
(٢٣) رواه ابن المبارك في «الزهد» (٨٤٩) وغيره، وانظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٣١٠).
(٢٤) انظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٥٤٦/٢).

سلسلة مطويات شبكة بينونة

عادة جاهلية في شهر صفر

الشيخ
يوسف بن حسن الحمادي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE